

أنا وأنت على الطريق

كفاءة النسب بين الزوجين في السعودية

في زاوية مرفأ كلمات، كتبت فاطمة عطية تحت عنوان شريعة الغاب هذا الخبر الذي أثار انتباهها وانتباهي بالحق. فتعالى سيدتي المستمعة العربية نستمع إلى ما جاء فيه:

قرأت : إن مجموعة من النساء السعوديات وقَّعن عريضة احتجاج ينوين تقديمها إلى العاهل السعودي يناشدنه فيها التدخل في ما سمَّوه استفحال نيران دعاوي العائلية، وذلك للتفريق بين الزوجين بذريعة عدم كفاءة النسب على أثر تأييد محكمة التمييز قرار التفريق بين الزوجين السعوديين فاطمة العزاز ومنصور التيماني. وقد تجاوب مع الخطاب عدد من المنظمات والشخصيات النسائية العربية ذات الاهتمام الحقوقي بقضايا المرأة، كما تفاعلت معه منظمات أجنبية. وكانت الكاتبة والحقوقية السعودية وجهية الحويدر قد توجهت ببناء للنساء السعوديات طالبتن فيه بسرعة التحرك وتوجيه عريضة للملك قبل فوات الأوان. وطالبت النساء الموقَّعات العاهل السعودي بالتدخل لأن فتح الباب لأمثال هذه الأحكام القائمة على اجتهادات فقهية معينة لم تأخذ بعين الاعتبار ما سوف يترتب عليها من أخطار ستُحقيق بالنسيج الاجتماعي والعلاقات الأسرية والسلام والوحدة الوطنية، وأن القبول بها سيعمل على زعزعة الأمن والاستقرار ويهدد احترام حقوق المواطنة والمساواة لكافة مكونات النسيج الاجتماعي.

وتتابع الكاتبة لتقول: وشهدت المحاكم السعودية مؤخرا ثلاث قضايا تطليق لعدم كفاءة النسب، ومنها قضية منصور وفاطمة اللذين أمرت المحكمة بتطليقهما غصبا عنهما بعد زواج استمر ٣ سنوات أنجبا خلاله طفلين لأن الزوج من قبيلة أقل شأنًا من قبيلة زوجته حسبما اكتشف والد الزوجة. ورفضت فاطمة هذا الحكم واختارت أن تبقى في السجن على أن تعود لمن قرر تفريقها عن زوجها. وقضية رانيا والمهندس أحمد وقضية لزوجين لم يمض على زواجهما أكثر من شهرين ونصف وهما عبدالله وهيا. وهنا تعلق فاطمة عطية في زاويتها لتقول: المرأة العربية تخضع وتُبتز تحت وطأة عادات جاهلية ومعتقدات بغيضة. كما وأجبرها بعض المتعصبين أن تلبس بالقوة والتهديد الحجاب ثم ألبسوها الخمار والنقاب ليمنعوا عنها الهواء والضوء لتسير كالأشباح المخيفة والأكياس السوداء البالية. وتختتم الكاتبة لتقول: إن قضية التفريق لعدم كفاءة النسب هي عادات جاهلية وكلها أمور مخالفة لجوهر الدين. وكذلك التطرف لا دين له. لأنه يهدد التسامح والتعايش.

تصوري سيدتي المستمعة أن تجبرك المحكمة على طلاق زوجك بعد أن اكتشف مثلا أحد أفراد عائلتيكما أن أحدا منكما ليس كقواء من حيث النسب العائلي. أيعقل أن تفرّق محكمة شرعية بين زوجين وتحكم عليهما بالتطليق لكونهما غير متناسبين أو من نفس الطبقة الاجتماعية؟ هل يصح أن يكون هذا هو تفكير البعض ونحن الآن في القرن الحادي والعشرين؟ ومنذ متى كانت الطبقات الاجتماعية هي الأساس الذي يجمع بين القلوب والأفكار والنفوس؟ ثم من صنع هذه الطبقات يا ترى؟ أليست هي من صنع البشر والبشر فقط؟

يعلّمنا الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الحية بأن الله خلق كل البشر سواء. إذ نقرأ عن بولس الرسول أحد رسل المسيحية الأوائل حين وقف في أثينا اليونان وتكلم لهم عن الله الخالق وقال : الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدي. ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء. إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتمّ بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم. إذن، لقد تكلم بولس الرسول بوحى من روح الله القدوس حين قال بأن الله الخالق رب السماء والأرض هو الذي يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء وهو الذي صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض . فمن أين أنت الفروقات؟ أليست هي من مجتمع الإنسان؟ الذي عنده محاباة بين الغني والفقير بين المتعلم والأمي وبين الكبير والصغير وبين قبيلة وأخرى؟ إن الله يا سيدتي لا ينظر إلى البشر إلا نظرة واحدة هي نظرة المحبة. فهل علمت بذلك؟

هل قرأت مرة عن محبة الله العظيمة لك أنت شخصيا يا سيدتي؟ هل سمعت الآية التي فاه بها الرب يسوع المسيح والمعروف عند البعض ب عيسى بن مريم عن عظمة محبة الله لكل بني البشر سواء؟ قال " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية."

إذن، ينظر إليك الله نظرة تختلف عن المجتمع ، لأنها نظرة واحدة ومساوية لكل بني البشر. الكبير والصغير سواء، المرأة والرجل سواء، الغني والفقير سواء. وهو أحب الجميع سواء وبيّن لهم محبته تعالى إذ أرسل الفادي يسوع المسيح من أجل إنقاذ الجميع سواء من الخطية ومن عقابها المرير. فمات عن خطية الإنسان لأن أجره الخطية موت، وقام من بين الأموات غالبا ومنتصرا على الموت لكي يمنح كل من يؤمن به الحياة الأبدية، أي الحياة في دار النعيم.

إسمعي سيدتي ما يقوله الرسول بولس أيضا في هذا المنحى: **لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع.** فهل تؤمنين سيدتي المستمعة بمحبة الله لك

شخصياً؟ وهل تتقن بأنه لا فرق بينك وبين زوجك حتى ولو كان هناك فرق في الطبقات الاجتماعية التي فرضها المجتمع عليك؟ وهل تعترفين أنه إذا وثقت بمحبة الله لك وبما عمله من أجلك من خلال يسوع المسيح الفادي تحصلين على الحياة في دار النعيم؟ إذا فعلت فأنت الراححة الوحيدة.
